

## الأدب العربي والنقد الهندي

د. عبد المجيد عي

الأستاذ المساعد في كيرالا

حمدا لمن قال: الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ، فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ، وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ<sup>١</sup>. وصلاة وسلاما على أفصح العرب، وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ وبعد: فمحور هذه المقالة ثلاث نقاط:

الأولى: إن للهند تراثا قديما في النقد، نقله العرب في عصرهم الذهبي.

الثانية: للهنود إضافات قيّمة إلى علم البلاغة، وهو أساس النقد الأدبي.

الثالثة: لعب الهنود دورا بارزا في محافظة الأدب والنقد الموروث.

حقا، إنّ الهند عُرِفَت منذ القدم بالحكمة والتأمّل والاهتمام الكبير بالأفكار العالية، فتدلّ الحقائق التاريخية على وجود كتابات نقدية في الهند مع أشعار الفيداس الدينية، وذلك خلال الفترة الممتدة من القرن الخامس عشر إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وتطوّرت النظرية النقدية الهندية واضحة في القرن الرابع قبل الميلاد، وهو الفترة التي تعود إليها كتابات اليونانيين، كأفلاطون وأرسطو. بل إن الهنود في تلك الفترة ذهبوا إلى أبعد من اليونانيين، حيث اعتبروا الشاعر مؤسسا للقيم الاجتماعية والأخلاقية، واعتبروا المسرح مصدرا للتطهير العاطفي، يتضح ذلك في "علم المسرح" (ناتياساسترا) لهرتا مني، في القرن الثاني الميلادي. وفي القرن الثامن بدا تيار شكلي وتيار معنوي تحت مسمى "راسادهافاني" اختصر ما قبله، وأسس لما بعده في النقد الهندي. يتميز الإبداع الهندي بالالتزام، وبالاعتراض الاجتماعي، وأحيانا بالخيار بين هذا أو ذلك، وغالبا ما يكون تعبيراً عن موقفٍ متمردٍ. خلاصة القول: في

١ - الزمر- الآية: ١٨

اللغة السنسكريتية، كنوزٌ مُذهلةٌ للأدب الكلاسيكي الهندي ونقده.

وفي القرن السادس عشر تعرضت الهند للتأثير الإسلامي القادم من بلاد فارس، فدخلت فيها أشكال شعرية فارسية، وانتهى المسرح الهندي القديم. ثم ما لبث التأثير الإسلامي أن تراجع تحت ضغط المؤثرات النقدية الغربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، فاشتعلت معارك القديم والجديد والصنعة والطبع، فسعى بعض النقاد الهنود المحدثين إلى تبني مفاهيم نقدية غربية بأسرها، وأكد آخرون على أهمية العودة إلى الموروث الهندي القديم، كما فعل الناقد ناراسيمهايا في تأسيسه لمدرسة 'دفانياالوكا' في جامعة ميسور بجنوب الهند.

وبعد هذه الجولة السريعة حول التراث الأدبي والنقدي الهندي، نناقش عما أخذ العرب من الهند في النقد، ودوره في تطور النقد العربي.

أكيدا، في عصر التدوين، حينما نقل العرب إلى لغتهم كلَّ ما وجدوه في العالم، أخذوا من الهنود أُسسَ النقد، بل أثروا النقد الهندي على النقد اليوناني والصيني، الدليل على ذلك، ما نقرأ في الجزء الأوّل في كتاب "البيان والتبيين" لأمير البيان العربي الجاحظ، فيذكر صحيفةً هنديةً في البلاغة. ويقول: وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع: العربُ وفارس والهند والرّوم؛ والباقون همجٌ وأشباه همج<sup>١</sup>.

يقول: خبرني أبو الزبير كاتبُ محمد بن حسنّ، وحدثني محمد ابن أبان - ولا أدري كاتب من كان - قالاً:

قيل للفارسيّ: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل.

وقيل لليونانيّ: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

وقيل للروميّ: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة،

والغزارة يوم الإطالة.

وقيل للهنديّ: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة،

١. البيان والتبيين، الجاحظ، ج ١، ص ١٣٧.

وحسن الإشارة.

وقال بعض أهل الهند: جماعُ البلاغة البصرُ بالحجة، والمعرفة

بمواضع الفرصة<sup>١</sup>.

ويروي الجاحظ في شأن البيان والبلاغة عن رجل هندي الأصل، هو إبراهيم بن السندي، كقوله مثلاً: وأخبرني إبراهيم بن السندي، فالحقيقة كان إبراهيم بن السندي هذا واحداً ممّن ساعد الجاحظ لبناء تفكيره البلاغي مستوحياً وجهات نظر الهنود وتعليقاتهم في مجال النظر العقليّ في البلاغة.

ويقول الجاحظ: إنّ بعض ما نُقل عن أهل الهند في شأن البلاغة والبيان واللّسن يشير إلى خبرة عميقة وتشقيق واسع ومعالجة ناضجة لصفات المتكلمّ البليغ أو صانع البيان الذي يُنتظر منه أن يُبلغ كنه مراده إلى مخاطبه مخدّباً في نفسه أبلغ الأثر<sup>٢</sup>. ومما لا يماري فيه اثنان أنه كان تدوين البلاغة نقطة تحوّل في تطور النقد الأدبي، ولعبت دوراً هاماً في تطور أصول النقد أكثر من غيرها من العلوم العربية، كقواعد اللغة نحواً و صرفاً، وعلم العروض، والمنطق، والفلسفة.

### الأنواع البديعية الهندية:

فقد أتى وبذل السيّد غلام علي آزاد البلغرامي، الأملعيّ المشبع بالثقافة الهندية والفارسية، جهوداً كبيرة في نقل المحسنات الكلامية الهندية إلى العربية، الدليل على ذلك، الجزء البلاغيّ لـ'سبحة المرجان' في آثار هندوستان<sup>٣</sup> ويريد المؤلف بـ'آثار هندوستان' مآثر الهنود في العلم والأدب.

يقول السيّد غلام علي آزاد البلغرامي: " وأرجو من العرب العرّباء أن يستحسنوا مخترعات الأهاندا، كما استحسنوا الأسياف الهندية بين الفراندا"<sup>٣</sup>

٣. البيان والتبيين، ج ١، ص ٨٨.

٤. البيان والتبيين، ج ١، ص ٩٢-٩٣.

٥. سبحة المرجان، ج ٢، ص ٣٨.

ويقول: " واستخرجتُ الأمثلة من الآيات العظيمة والأحاديث الكريمة ودواوين الشعراء ومجاميع الأدباء، وأضفتُ إليهما ما سمح به خاطر الفاتر وترشّح به السحابُ القاطر "فخير مثال للمحسنات التي نقلت عن الهندية إلى العربية:

### النوع البديعي المسمّى التنزيه:

هذا النوع استخرجه بعض الأهاند في مقابلة التشبيه، وهو أن يبرئ المتكلم شيئاً عن أن يماثله شيء آخر؛ كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>٦</sup>

وقوله تعالى: ﴿إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾<sup>٧</sup>

أو قول حسّان في مدح النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وأحسنُ منك لم تر قطّ عيني وأحسنُ منك لم تلدِ النساءُ

فإنّ صنيع المؤلف في تطبيق البلاغة الهندية على الأمثلة العربية، يضع أبصار الدارسين العرب على كثير من آيات الحسن في الكلام العربيّ مما لم يفتن إليه الدارسون العرب، أو فطنوا إلى أجزاء منه ولم يفرّدوه بعنوان خاصّ.

### التفضيل على التفضيل:

هو أن يفضّل المتكلم شيئاً على شيء، ثم يفضّل على المفضّل شيئاً آخر وهلمّ جزءاً، كقول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سعد بن عباد: إِنَّ سَعْدًا لَغَيُورٌ وَأَنَا أَغْيُرُ مِنْ سَعْدٍ وَاللّٰهُ أَغْيُرُ مِنِّي.

وقلتُ (السيد غلام علي آزاد البلغرامي):

البدْرُ أسنى من كواكب في الدجى      ودُكَاءُ أشرف منه في الإشراق  
وسعداً أزيدُ من ذكاءِ إضاءةٍ      أحسنُ بقدرةِ حضرةِ الخلاق<sup>٨</sup>

٦. نفسه، ص ٤٠.

٧. الشورى/١١.

٨. الفجر/٧، ٨.

٩. سبحة المرجان، ج ٢، ص ٦٧ - ٦٨.

وكثيراً ما تأتي قيمة ما يأتي به المؤلف في شأن المحسنات البلاغية من جمعه بين الأمثلة العربية والأمثلة الهندية للنوع البديعيّ الهندي الذي نقله. ومن ذلك مثلاً ما يبدو في حديثه عن نوع يسمّيه:

### تشبيه التمني:

هو أن يتمّى المشبّه به أن يحصل له كمالُ المشبه،

كقول القاضي عبد المقتدر الدهلويّ:

له جمالٌ إذا ما الشمسُ قد نظرت إليه قالت: ألا ياليت ذلك لي

### والتسوية:

هو أن يحسب المتكلم المتضادين في مرتبة واحدة لا يرجح أحدهما على الآخر،

كقوله تعالى: ﴿سْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قال الرجل: كيف

أنصره ظالماً؟ قال صلى الله عليه وسلم: «تمنعه عن الظلم».

أخي القارئ، تفيدنا المصادر الموثوق بها أن عدداً من العباقرة الهنود ساهموا في إثراء البلاغة والنقد الأدبي، ومنهم أيضاً الإمام عبد الحميد الفراهي، هو من أهالي 'فريها'، إحدى قرى مدينة أعظم كره. من آثاره القيمة "جمهرة البلاغة" ذكر فيه أصول البلاغة ومستواها في ضوء القرآن والسنة وكلام العرب. وانتقد فيه أرسطو ونظريته في المحاكاة، وحدّد كثيراً من خاصيات القوّة في اللغة العربية. ومنهم إبراهيم عبد الحسين العريض الذي ولد عام ١٩٠٨ في مدينة مومبي الهندية، من أبوين عربيين. وهو صاحب أول عمل عربي متميز لرباعيات الشاعر الفارسي.

### ومن دراساته النقدية:

١. الأساليب الشعرية (١٩٥٠)،

٢. شعراء معاصرون، وهي دراسة تضم حوالي عشرين دراسة حول عشرين

شاعرا(١٩٥٠)،

٣. الشعر والفنون الجميلة (١٩٥٢)،

٤. الشعر وقضيته في الأدب العربي الحديث (١٩٥٥)،

٥. جولة في الشعر العربي المعاصر (١٩٦٢)،

٦. فن المتنبي بعد ألف عام (١٩٦٣)،

٧. الدراسات الفنية عند مترجمي الخيام (١٩٩٨)،

٨. دراسات في الأدب والنقد.

واختتاماً لهذه الورقة نكرّر: وحينما أصيب الأدبي العربي بمحنة الصناعة والتكلف، ومحنة التقليد في الأدب والنقد، حيث صار جامدين لا قوة فهما ولا روح، ولا جدة فهما ولا طرفة، ولا متعة فهما ولا لذة، قبض الهنود يد الأدب والنقد وانقطعوا للأدب والإنشاء، الدليل على ذلك ما نقرأ في مقدمة " مختارات من أدب العرب " لأبي الحسن علي الحسن الندوي؛ يقول:

" أصبحت كتب التاريخ والأدب نسخة واحدة، وأصبحت الكتابة صورة واحدة من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر، لا يستثنى منها إلا عبقران اثنان، أولهما ابن خلدون، وثانيهما الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي<sup>١</sup>. " ثم بيّن الندوي ماذا خسر الأدب العربي ونقده بتقليد الغرب، ودعا إلى الاعتماد على كتب التاريخ والأدب القديم، والرجوع إلى أمهات الكتب التي تمثل لنا العربية في جمالها الأول، ونقائها الأصيل، وسعتها النادرة، والاعتصام بأسلوبها الموروث، يقول:

" إنّ هذا الأدب الطبيعي الجميل القوي كثير وقديم في المكتبة العربية، بل هو أكبر سنا وأسبق زمنا من الأدب الصناعي، فقد دون هذا الأدب في كتب الحديث والسيرة قبل أن يدوّن الأدب الصناعي في كتب الرسائل والمقامات، ولكنه لم يحظ من دراسة الأدباء والباحثين وعنايتهم ما

<sup>١</sup> مقدمة " مختارات من أدب العرب لأبي الحسن علي الحسن الندوي ص، ٨

حظي به الأدب الصناعي، مع أنه هو الأدب الذي تجلت فيه عبقرية اللغة العربية وأسرارها وبراعة أهل اللغة ولباقتهم، وهو المدرسة الأدب الأصلية الأولى<sup>١</sup>.

وعلى هذا الأساس، ألف محمد الرابع الحسني الندوي مع تقديم أبي الحسن علي الحسني الندوي كتابه "الأدب العربي بين عرض ونقد". وهناك مقالات ومؤلفات عديدة قيّمة تعالج النقد، وقد نالت هذه المقالات والكتب إعجاب رجال التعليم، وأصحاب الذوق، ووقع من الأدباء والمعلمين موقع الاستحسان والقبول، كما استعانت كثيرا في تربية الذوق الأدبي، ومعرفة الفضل لأصحابه.

#### المصادر والمراجع:

- (١) أبو الحسن علي الندوي، مختارات من أدب العرب، مكتبة وحيدية، دهلي.
- (٢) أستاذ أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب. دارالقلم، بيروت، لبنان.
- (٣) صالح آدم بيلو: من قضايا الأدب الإسلامي، دارالمنار للنشر، السعودية، جدة.
- (٤) عبد الرحمن رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: د/ دار الأدب الإسلامي قبرص.
- (٥) غلام علي آزاد البلغرامي، سبحة المرجان في آثار هندستان، مكتبة وحيدية، دهلي.
- (٦) محمد الرابع الحسني الندوي، الأدب العربي بين عرض ونقد
- (٧) محمد الرابع الحسني الندوي: الأدب الإسلامي وصلته بالحياة، دار الصحوة، القاهرة.
- (٨) مجلة ثقافة الهند، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، المجلد ٥٧، العدد ٢٠٠٦، م، ص ١، ٥٩.

١. نفس المراجع، ص ٩